عبد الله بن الزبير

من رموز السياسة الفاشلة

قـ ريف القرشي

عبد الله بن الزبير

من رموز السياسة الفاشلة

باقر شريف القرشي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

١٠

وكان من ألطاف الله تعالى ورحمته على عباده أن بعث لهم رسوله العظيم محمد ﷺ فأنار العقول ، وأقام معالم الحضارة ، وقواعد الآداب ومحاسن السلوك ، وهدى الناس للتي هي أقوم لحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بعد ما كانوا يرزحون في تيارات مظلمة وسحيقة من مجاهل الحياة ، فهو الرحمة الكبرى التي أفاضها تعالى على العباد قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} .

لقد حرر العقول ، وفتح آفاقاً مشرقة للوعي والتطور ، ودعا إلى حياة قائمة على العلم والعدل والحق في ظل نظام آمن مستقر تتوفر فيه جميع الحقوق ، وتنعدم فيه جميع الفوارق التي اصطنعها الإنسان فالقته في شر عظيم ، فلا سيادة في الإسلام لحاكم على محكوم ، و لا لغني على فقير ومحروم ، و لا لقوي على ضعيف ، وإنما السيادة للتقوى وعمل الخير وما ينفع الناس .

.٢٠

لقد فجَر النبي ﷺ دعوته الخلَاقة ورفع قيمه العظيمة في مجتمع جاهلي غارق في الجهل والتأخر والانحطاط ، قد اتخذ الأصنام آلهة

يعبدونها من دون الله تعالى خالق الحياة ، و واهب الفكر الذي ميَز به الإنسان ، وفضَله على جميع الكائنات الحية .

وقد لاقى النبي صلى الله عليه وآله صنوفاً مرهقة وشديدة من قريش ، فقد جهدت على إطفاء رسالته ، ومحو دعوته ، وإزالة أرصدته واتهمته بالجنون ، والسحر والدجل والكذب ، وعذبت أقسى ألوان العذاب لمن آمن به وصدَقه ، ولم تكن عنده قوة تحميه ، ولا ركن شديد يأوي إليه ، سوى عمَه أبي طالب وابنه بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فكانا القوَة الضاربة التي وقفت إلى جانبه ، وحمته من أولئك الوحوش .

وشيء بالغ الأهمية في شخصية الرسول العظيم ﷺ ، وهو حرصه البالغ على سعادة أمته ، وسيادتها واستقلالها في جميع أجيالها الصاعدة ، وقد حكى القرآن هذه الظاهرة الفذَة ، قال تعالى : {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} ، وكان من رأفته وشفقته عليها أن أقام لها أوثق رصيد يصون كرامتها ، ويضمن سلامتها من الخطوب والأزمات ، وهو كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والعترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم في عصمتها من الذنوب ، وطهارتها من الرجس ، قال

ﷺ : (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً احدهما أعظم من الآخر كتاب الله _ تعالى _ حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليَ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) ، إن حديث الثقلين من أهم الأحاديث النبوية ، ومن أكثرها ذيوعاً وانتشاراً بين المسلمين ، وهو صحيح في سنده وظاهر في دلالته في وجوب التمسك بالثقلين ، والاهتداء بهما صيانةً للأمة من التلوث بمآثم الحياة والتردي في المتاهات السحيقة و مجاهل السقوط والانحراف عن سنن الحق .

ومن المؤسف جداً ان الأمة منيت بانقلاب مدمَر بعد وفاة منقذها العظيم ، حكى مدى خطورته القرآن الكريم قال تعالى : {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ } ، وكان من افجع نتائج ذلك الانقلاب ومن أشدَها ألماً وحزناً ما تعرضت له العترة الطاهرة من الخطوب والأزمات ، فقد عمد الحزب القرشي على إبعادها عن مسرح الحياة السياسية ، ومعاملتها معاملة عاديَة اتسمت بالعداء والبغض والكراهية ، فلم يمض خمسون عاماً على وفاة النبي ﷺ وإذا

بعترته قد رُفعت رؤوسها على أطراف الرماح ، وبناته سبايا يُطاف بها في الأقطار والأمصار ، وإذا بقيادة الأمة تُسلَم إلى أعداء الإسلام وخصومه من الأمويين والعباسيين ، فعاثوا فساداً في الأرض ، نهبوا الأموال وصرفوها على شهواتهم ولياليهم الحمراء ، وأمعنوا في إذلال المسلمين وإرغامهم على ما يكرهون

.٥.

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى حضيرة القدس ، وقعت الأمة فريسة بأيدي الذئاب من عشَاق الملك والسلطان فأمعنوا في إذلالها وإشاعة الفقر والجهل فيها وحوَلوا البلاد إلى مزرعة لهم حسبما قالَ عمرو بن العاص (إنما السواد بستان لقريش)

السواد بستان لقريش لا لأهله ، وهو تعبير صادق حكى أطماع الساسة والولاة من الأمويين .

وقد ساد الصراع الدموي على الحكم بين الأحزاب القرشية كحزب الأمويين وحزب الزبيريين ، يريد كل منهما الظفر بالسلطة والاستيلاء على خيرات البلاد ، وصدق من قال : (فالحكم بعد أبي ليلى لمن غلبا) وفي سبيل أطماعهم الرخيصة التي شذَت وابتعدت عن مصلحة الأمة فقد انتشر فيها سفك الدماء وإزهاق الأرواح وعمَ الحزن والحداد في جميع أرجائها كما انتُهكت حرمة المقدسات الدينية التي منها حرمة الكعبة المقدسة التي اعتصم بها عبدالله بن الزبير ، واتخذها قاعدة لسلطانه وقد حذره عبد الله

ابن عمر من انتهاكها فقال له : (إيَاك والإلحاد في حرم الله فاشهد سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يحلها ـ أي الكعبة ـ رجلٌ من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتهما ، فانظر لا تكونه)[1] ، وقد دعي عثمان بن عفَان إلى التحول إلى مكة حينما أحاط به الثوَار في المدينة فأبى وقال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله عليه مثل نصف أوزار الناس)[2] .

ولم يحفل ابن الزبير بحرمة الكعبة ولا الأمويون فقد رموها بالمنجنيق للقضاء على ابن الزبير حتى ألصقت بالأرض إلى غير ذلك من

١ـ سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٧٨ .
٢ـ نفس المصدر .

المآسي المروعة التي مني بها العالم الإسلامي ، ومن المؤكد ان جميع الأحداث الجسام التي حلَت بالمسلمين كانت ناجمة من دون شك من مؤتمر السقيفة والشورى فقد كانا السبب في حدوث الصراع الحزبي بين القرشيين الذين أبوا ان تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد .

.٦٠.

تبنَى الإسلام الصدق ، وأكَد على ضرورته في برامجه التربوية ، وانه ليس منه الكذب والدجل فيما نقول ونعمل ونكتب ، ومن المؤسف ان بعض المؤلَفين قد أضفوا على عبدالله بن الزبير النعوت الحسنة ، والأوصاف الشريفة والتي منها

ان عبد الله بن الزبير اتقى لله ، واعرق في الإسلام[1] ، ويرى بعضهم انه من الصحابة أجمعين أكتعين مطهَرون من الذنوب ، ومحاطون بهالة من الإكبار والتقديس ، وهذا الرأي فيما _ احسب _ ليس بشيء ففيه إلغاء لما حكم به الإسلام من ان قيمة الإنسان ومكانته تقدَران بأعماله فان كانت مجافية لأحكام الإسلام فهو مُؤاخذ بها ومُحاسب عليها قال تعالى : (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) وقال تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) ، مضافاً إلى حشد كبير من الروايات التي

١ـ من معالم الحق / ١٣١ .

أثرت عن النبي صلى الله عليه وآله ومن أئمة الهدى عليهم السلام تؤكد ذلك .

ان التاريخ الإسلامي قد خُلط بكثير من الموضوعات والمفتريات ، ويجب ان ننظر إلى الأحداث فيه بدقَة وشمول حتى نصل إلى الواقع ، ومن المؤكَد ان أعمال ابن الزبير لم تتفق مع القيم الإسلامية فكيف نضفي عليه القداسة والتعظيم

.٧.

أذعت بعض هذه البحوث من محطة الكوثر الفضائية حينما كنت في إيران ، وبعد ما قفلت راجعاً إلى بلدي النجف الاشرف ، أحببت

ان أضيف إليها شيئاً آخر من سيرة ابن الزبير ومكوناته النفسية ، وانشره بين الناس ، وفعلاً قد تم ذلك على سبيل الإيجاز لا الاستقصاء التام آملاً ان يجد فيها القراء المتعة ، وهو كل ما أتمنَاه .

وقبل ان اقفل هذا التقديم أتَقدم بالشكر الجزيل إلى ولدنا الفاضل السيد عبد الله الموسوي الاحسائي لتبرعه بطبع هذا الكتاب ، سائلين من الله تعالى ان يجزل له المزيد من الأجر انه تعالى ولي ذلك والقادر عليه .

المؤلف

عبد الله بن الزبير

من رموز السياسة الفاشلة

(١٦)

والشيء المؤكد أن التهالك على السلطة و زعامة الأمة من أهم الأحداث الجسام التي مني بها المسلمون منذ فجر تاريخهم ، فقد أخلدت لهم الفتن ، وألقتهم في شر عظيم ، وكان من افجع تلك الأحداث ، وأشدها محنة وبلاءً ، ان الحزب القرشي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جهد على إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن المسرح السياسي ومعاملتهم معاملة عاديَة اتَسمت بالبغض والكراهية، فقد رفعوا شعارهم الذي نادوا به وتبنَوه قاعدة لسياستهم وهو (أبت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد ..) .

وهذا الشعار مهلهل لا نصيب له من الصحَة غير الحقد لمراكز الفكر والوعي في الإسلام وهم آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أي علاقة لقريش بالإسلام ، ومصير المسلمين والتحكم في أمورهم أليست قريش هي التي حاربت النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ فجر دعوته ، وجهدت بكل طاقاتها على إطفاء نور الإسلام ، وعذَبت اشد ألوان التعذيب وأقساه لمن آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى اضطرَوا إلى الهجرة للحبشة .

أليست قريش هي التي أجمعت على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى خرج منهم بأعجوبة وأناب في فراشه أخاه وابن عمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولما استقرَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في

يثرب تابعته قريش بجيوشها لمناهضته واجتثاثه فكانت واقعة بدر و احد و الأحزاب وغيرها .

ومن الرموز القرشية الذين هاموا بحب السلطان عبد الله بن الزبير فقد تذرَع بجميع الوسائل للوصول للخلافة ، وفعلاً فقد تقمَص الخلافة في فترة قصيرة حتى سلبها منه عبد الملك ابن مروان وقبل الحديث عن حكمه نتحدث عن بعض شؤونه .

ولادته ونشأته

ولد عبد الله في السنة الأولى أو الثانية من الهجرة، وهو من صغار الصحابة[1] .

١ـ سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٤ .

رآه النبـــي صلى الله عليه وآله وسلم يـــشرب دم حجامتـــه ، فقال له: ويل للناس منك .

أمـا أمَـه فهـي (أسـماء بنـت أبـي بكـر) و (عائشة) خالته ، وقـد نـشأ فـي كنفهـا و تربَى فـي بيتها وهو احد الرواة عنها ، وكان أثيراً عندها .

صفاته النفسية

أما صفاته وعناصره النفسية التي لازمته ولم تفارقه طيلة حياته، فهذه بعضها :

١. البخل :

من ابرز صفات ابن الزبير البخل والشح ، وهو من أهم الأسباب في فشل سياسته وسقوط حكومته ، وقد عانى الناس في أيام حكومته

القصيرة الأمد ، البؤس والحرمان خصوصاً الموالي، فقد نهشهم الفقر قال شاعرهم :

إن الموالي أمست وهي عاتبة

على الخليفة تشكوا الجوع و السغبا

ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا

أي الملوك على من حولنا غلبا[1]

وقد كرهه جيشه لأنه لم يكن ينفق عليهم سوى التمر ، ولم يمدهم بما يحتاجونه من ضروريات حياتهم وفيه يقول الشاعر :

رأيت أبا بكر وربك غالب

على أمره يبني الخلافة بالتمر

١ـ مروج الذهب ٣ / ٧٥ ، أنساب الأشراف ٥ / ٣٧٣ .

٢. الحقد :

وظاهرة أخرى من نزعات ابن الزبير ، الحقد خصوصاً على ذوي المكانة الاجتماعية في عصره، فقد حقد على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين عليه السلام حينما كان في مكة ، وقد احتفَت به الجماهير تقدَسه وتكبره وتعظَمه، فثقل ذلك عليه وشعر أن الناس لا يعدلون عن الإمام الحسين عليه السلام إليه وذلك نضعف مركزه الاجتماعي ، فكان يحرض الإمام على مغادرة مكة والشخوص إلى العراق قائلاً له :

(ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك فو الله لو أن لي مثلهم ما توجهت إلا إليهم ..) .

ولم يخف على الإمام الحسين زيف كلامه فراح يقول لأصحابه :

(ان هذا وأشار إلى ابن الزبير ـ ليس شيء في الدنيا أحب إليه من أن اخرج من الحجاز ، فقد علم أن الناس لا يعدلونه بي ، فودَ أن اخرج حتى يخلو له الجو)[1] .

وقد حقد على أخيه مصعب وعزله عن ولاية البصرة ، لما شعر انه يريد أن ينافسه في الحكم ، ومصعب هو الذي يقول فيه قيس الرقيات :

إنما مصعب شهاب من الله

تجلَت عن وجهه الظلماء

١ـ تاريخ الطبري ٦ / ٢١٦ ، الكامل لابن الأثير ٤ / ١٦ .

ملكه ملك عزَة ليس

فيه جبروت منه و لا كبرياء

٣. الرياء :

الرياء من أفحش الصفات النفسية ، ومن أكثرها قبحا ، خصوصاً في العبادات التي يعتبر فيها الإخلاص في طاعة الله تعالى ، وهو مما ينافيها ، ويفسدها ، وكان ابن الزبير من المرائين في عبادته في بيت الله الحرام التي لم يكن المقصود منها التقرب إلى الله تعالى، وإنما لاصطياد الناس وإغرائهم ببيعته ، وقد وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عبادة ابن الزبير بقوله :

(خب ضب يروم أمراً لا يدركه ، ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا ، وهو بعد مصلوب قريش)[1] .

وهذا من الأخبار الغيبية التي اخبر عنها وصي رسول الله وباب مدينة علمه ، فقد تحقَق ذلك على مسرح الحياة ، فقد صلب ابن الزبير على أبواب الكعبة كما سنعرض له .

وقد طلبت زوجة عبد الله بن عمر ، مبايعة ابن الزبير ، وذكرت له عبادته وطاعته فقال لها : أما رأيت بغلة معاوية التي كان يحج عليها الشهباء، فان ابن الزبير ما يريد غيرهن [2] .

١ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧ / ٤٨ ، البحار ٤١ / ٣٥١ .
٢ـ حياة الإمام الحسين ٢ / ٣٢٣ .

وقد أعلن ابن الزبير بعد شهادة أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام انه يطلب بثأره وذلك لكسب البسطاء الذين تلوّنهم الدعاية وتكسبهم ولكن سرعان ما انكشف زيفه ، وبطلان ما يدعو إليه ، وهذا هو السبب في تخلي المختار عنه ، ومناهضته ، ورحم الله تعالى أبا الحسن التهامي بقوله :

ثوب الرياء يشف عما تحته

وإذا التحفت به فانك عاري

وعلى أي حال فقد امتحن المسلمون كأشد ما يكون الامتحان من ابن الزبير وأمثاله من الذين هم صنائع مؤتمر السقيفة والشورى .

٤ـ الحقد على الأسرة النبوية :

من النزعات الشريرة لابن الزبير ، الحقد البالغ والكراهية الشديدة للأسرة النبوية ، فكان يكن لهم في أعماق نفسه البغض العارم ، وهو الذي صرف أباه عن خطهم بعدما كان من الرموز الموالية لهم ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (ما زال الزبير منا حتى نشأ ابنه عبد الله)[1] .

وهو الذي حمل خالته عائشة _ فيما احسب على محاربة الإمام أمير المؤمنين في واقعة الجمل كما انه السبب في صرف عائشة عما عزمت عليه من محاربة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما نبحتها كلاب الحوأب ، فقد قالت : سمعت رسول الله

١ـ البحار ٣٤ / ٢٨٩ .

صلى الله عليه وآله وسلم يقول لنسائه : (كأني بإحداكن قد نبحتها كلاب الحوأب ، وإياك أن تكوني يا حميراء) ، فا سرع إليها ابن الزبير فجاء لها بشهود اشترى ضمائرهم فشهدوا عندها انه ليس بماء الحوأب ، وهي أول شهادة زور تقام في الإسلام[1] واستجابت عائشة له وقادت الجيوش لمحاربة وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وباب مدينة علمه .

وكان من عدائه للسادة العلويين انه بقي أربعين يوماً لم يصلَ على النبي صلى الله عليه وآله في خطبه ، فأنكر المسلمون عليه فقال : إن له أهل بيت سوء

١ـ تاريخ الطبري ٤ / ١٧٨، الاستيعاب ٤ / ١٨٨٥، الكامل في التاريخ ٣ / ١٠٧ .

إذا ذكرته اشرأبت نفوسهم و فرحوا بذلك ، فلا أحب أن اقر عيونهم بذلك[1] .

وفي أيام حكومته دعا محمد بن الحنفية ، وعبد الله بن عباس وأربعة وعشرين شخصاً من بني هاشم وطلب منهم مبايعته والإقرار له بالسلطة فرفضوا ذلك ، فأودعهم السجن وهددهم بإحراقهم بالنار ، و عيَن وقتاً لذلك ، ورفع ابن الحنفية رسالة إلى المختار الثقفي حاكم العراق يستنجد به ، جاء فيها بعد البسملة :

(من محمد بن علي ، ومن قبله من المسلمين ، أما بعد : فان عبد الله بن الزبير أخذنا فحبسنا في

١ـ العقد الفريد ٤ / ٤١٣ ، البحار ٤٨ / ١٨٣

حجرة زمزم ، وحلف بالله الذي لا اله إلا هو لنبايعنه ، أو ليضرمها علينا بالنار فياغوثاه ..)

ووجه المختار جيشاً لإنقاذهم قوامه أربعة آلاف مقاتل ، فقدم إلى مكة وأخرجهم من السجن ، وطلب القائد في جيش المختار أن يشن حملة عسكرية علي ابن الزبير ، فأبى محمد ذلك ، وقال : لا استحل من قطع رحمه ما استحل مني[1] .

لقد كان ابن الزبير من ألد أعداء العترة النبوية ، ولو تم له الأمر واستقام حكمه لاقترف معهم أفحش الجرائم ، وأكثرها قسوة.

١ـ البحار

ابن الزبير ويزيد

وجه يزيد جيشاً مكثفاً لاحتلال المدينة ومكة بعد أن أعلنا التمرد على حكومته ، وقد اسند قيادة جيشه إلى إرهابي أثيم وهو مسلم بن عقبة الذي سماه المؤرخون بالمسرف ، فانه بعد ما احتل المدينة المنورة أباحها لجنده ثلاثة أيام فقتلوا الأبرياء وهتكوا الأعراض، ونهبوا الأموال ، وارتكبوا فيها ما لم يرتكبه اليهود في دير ياسين ، ثم توجه الجيش إلى مكة لاحتلالها والقضاء على ابن الزبير الذي كان معتصماً بالبيت الحرام ، وفي الطريق أدرك الموت المجرم مسلم بن عقبة ، فعهد بقيادة جيشه إلى الحصين بن نمير، وقال له :

انظر يا برذعة الحمار لو كان الأمر لي ما فعلت ، ولكن اكره معصية أمير المؤمنين ـ يعني يزيد ـ وأوصاه بما عهد إليه يزيد من هتك الأعراض ، وسفك الدماء ونهب الأموال ، ثم قال له :

(إني لم اعمل عملاً قط بعد شهادة لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله أحبَ إليَ من قتال أهل المدينة ..) .

حكت هذه الوصية نفسية هذا الرجس الخبيث ، وهي امتداد لوحشية الأمويين وجرائمهم.

وعلى أي حال فقد سار الجيش الأموي وهو يجدَ في مسيرته حتى انتهى إلى مكة ففرض حصاراً على البيت الحرام ، وقد احتمى فيه ابن

الزبير ، وقد دارت معارك رهيبة بين جيش يزيد وجيش ابن الزبير ، يريد جيش يزيد أن يحرز النصر ، ويقدَموه هديَة إلى سيَدهم يزيد لينالوا جوائزه وعطاياه ، ويريد أصحاب ابن الزبير أن يحموا بيت الله الحرام من شر أولئك الوحوش الذين لا يرجون لله تعالى وقاراً ، وقد انضمَ لابن الزبير ، المختار الثقفي ، وقد أبدى من البسالة والشجاعة في المعركة ما يفوق حدَ الوصف ، وكان دفاعه عن قدسيَة البيت الحرام الذي لم يرع الجيش الأموي حرمته ، كما انضمَ إلى ابن الزبير حشد كبير من المسلمين متَفقين ومختلفين في ميولهم وعقائدهم وقد التحموا مع الجيش الأموي

في معارك رهيبة من دون أن يحقَق احد المعسكرين أي نصر .

هلاك يزيد

وبينما كانت جيوش الطاغية يزيد تفرض حصارها على بيت الله الحرام اذ وافته المنيَة وهو غارق بالجرائم والموبقات ، قد اخلد للمسلمين الخطوب والكوارث وألقاهم في شرَ عظيم .

ولما أذيع هلاك الباغي الأثيم توقَفت الحرب بين الفريقين ، وذلك في اليوم الرابع من شهر ربيع الأول عام (٦٤ هـ) وأسرع الحصين بن نمير القائد العام لقوَات يزيد إلى ابن الزبير فأبدى له التعاون التام ، والإقرار له بالحكم والسلطان ،

وطلب منه أن يخرج معه إلى الشام ليأخذ له البيعة من الشاميين والأمويين حتى يعمَ الأمن وينتشر السلام بين المسلمين ، وقد طلب منه ان يُحاط حديثه بكثير من السرية والكتمان ، فلم يعن به ابن الزبير ، ورفع صوته قائلاً :

(لا أرضى أن يقتل واحد منا بعشرة منكم)[1] .

وانكشف للحصين حماقة ابن الزبير ، فقال : كذب من يقول انك تصلح للخلافة ثم رحل إلى الشام.

وعلى أي حال فان موقف ابن الزبير مع الحصين دلَ على ضحالة فكره وقلة وعيه السياسي، ولو استجاب للحصين ورحل معه إلى

١ـ مروج الذهب ٣ / ٢٣ .

الشام لسيطرت حكومته على العالم الإسلامي ، إلا انه لم تكن له باع في الشؤون السياسية ، وقد نفر منه المختار وهو من المع القادة السياسيين في عصره ، فقد درس معالم شخصيَته ، وظهر له انه ليس أهلاً ليتولَى شؤون المسلمين وقيادتهم .

نهاية ابن الزبير

وبعد ما أطاح عبد الملك بن مروان بحكومة مصعب بن الزبير في العراق توجَه للقضاء على أخيه عبد الله في مكة ، وقد اسند قيادة جيشه إلى الحجَاج الثقفي ، وهو إرهابي وحش قد نُزعت الرحمة من قلبه ، لم يعرف إلا إزهاق الأنفس وسفك الدماء ، وإشاعة الخوف بين الناس .

وزحف الحجّاج بجيوشه إلى مكة ، وقد اعتصم ابن الزبير بالبيت الحرام والتحم الجيشان ، وقد انهزم معظم جيش ابن الزبير لبخله ، فقد كان يجري عليهم قوتاً من التمر ، ولما فرّوا منه قال لهم : أكلتم تمري وعصيتم أمري ، وعرض عليه بعض الأمويين الأمان فأبى ، (وقالت له أسماء : أي بني لا تقبل خطّة تخاف على نفسك منها مخافة القتل ، مت كريماً وإياك أن تؤسر أو تعطي بيديك ، فقال لها : ياامّاه أخاف أن يُمثّل بي بعد القتل ، فقالت له : وهل تتألّم الشاة من الم السلخ بعد الذبح)[1] :

١ـ مروج الذهب

ولما أيقن بالهلاك امتنع عن الطعام ، وجعل يتناول قطعاً من المسك فسئل عن ذلك فقال : إن الحجَاج سوف يصلبني ، وأحبَ أن تنتشر مني رائحة المسك ، فيقول الناس : قتل الطيب فأغريهم بذلك ، وفعلاً لما قتل صلبه الحجَاج فانتشرت منه رائحة طيبة ، فصاح الناس قتل الطيب الذي فاحت منه رائحة المسك، واخبر الحجَاج بذلك فأمر بذبح سنور وجعله في جوفه حتى خفيت رائحة المسك ، فقال الحجَاج : أفسدنا ما أراده ابن الزبير، ولما قتله الحجَاج صلبه ، وبقي أيَاماً مصلوباً ، فكلَمت أسماء الحجَاج في دفنه فأبى إلا انَه بعد ذلك أجاب .

وعلى أي حال فقد انطوت بهلاك ابن الزبير صفحة من رموز السياسة في ذلك العصر الذي جهدت فيه القوى السياسية على إبعاد أهل البيت عن المسرح السياسي ، فمنيت الأمَة بالأحداث الجسام وشاعت فيها الأطماع ، والأحزاب التي هي بعيدة في سلوكها واتجاهاتها عن الإسلام ، وما ينشده من وحدة الأمة وتماسكها .

باقر شريف القرشي

النجف الاشرف

٢٣ صفر/ ١٤٢٩هـ

الموضوع	الصفحة

تقديم ٣

عبد الله بن الزبير

من رموز السياسة الفاشلة ١٦

ولادته ونشأته ١٩

صفاته النفسية :

١. البخل ٢٠

٢. الحقد ٢٢

٣. الرياء ٢٤

٤. الحقد على الأسرة النبوية ٢٧

ابن الزبير و يزيد ٣١

هلاك يزيد ٣٤

نهاية ابن الزبير ٣٦

الموضوع	الصفحة

الفهرس ٤٠